ملاحظات عابرة

بقلم الأستاذ سامى محمد

سكرتير تحرير مجلة الشؤون الاجتماعية

غاية العلم :

ما هى غاية العلم ؟ هذا هو السؤال الذى ما فتئت أسأل نفسى عنه حتى اليوم ، وحتى اليوم لم أستطع أن أوفق إلى الحل الذى يرتضيه عقلى . أهى الشهادة التى يخرج بها الطالب فرحا مهللا مصفقا ناشرا فى الصحف والمجلات و بين الأهل والمعارف خبر حصوله عليها ؟ أم هى الوظيفة التى سيبذل فى سبيلها كل غال وثمين ؟ أم هى المظهر فيستعين بها الشاب على الكلام المبرقش الأجوف ليرفع من قدره بين الناس عندما يذكر دائما و بمناسبة وبلا مناسبه أنه حاصل على شهادة كذا ؟

لا هذا ولا هذه ولا تلك ترضينى ثمنا للعلم ، أو مكافأة للعلم . ومهما كانت الشهادة سبيلا إلى الكسب المادى ، فلست أرضى لنفسى أن يكون لعلمى ثمن مادى مهما غلا وارتفع .

كما لست أحب أن أجعل الشهادة الهدف الذى أرغم فى سبيل الحصول عليه على سهر الليالى فى الدرس والتنقيب و بعد أن أصل لمبتغاى وأحصل على الهدف الذى أرهقنى ، أى بعد أن أحصل على الوثيقة التى تفتح أمامى باب الوظيفة أباعد بينى و بين الدرس والتحصيل ، اعلمى أنه لاشىء بعد الشهادة يستحق الكسب والتأمل .

كلا وألف مرة كلا ، ليس المقصود بالشهادة أنها هى غاية العلم والتعليم ، وإنما هى اعتراف بأن حاملها نال قسطا من التعليم يمكنه من ولوج باب المعرفة وانتهال نبع حكمتها .

فإذا ما انقطع حامل الشهادة عن طلب العلم بعد حصوله على الوثيقة ، بطل عملها وانتفى مفعولها وانزوت فى ركن مظلم فى حياة صاحبها مع عقله وتفكيره .

ليست الشهادة ثمنا للعلم ، وليست هى غايته . وانما هى بدايته ، هى مفتاح قد يكون لكنز عامر ، أو لصحراء جدباء .

وليس المتعلم هو الذى يقول عندى شهادة كذا وكذا فهو جدير بأن يخجل من نفسه اذا قال ذلك ، إنما المتعلم هو الذى تشعر وأنت تحدثه أنك إنما تحدث متعلما حقيقيا ، علمه فى صدره لا وريقة معلقة فى إطار ثمين تزين مكانا بارزا من قاعة الاستقبال .

إنما غاية العلم هى طلب العلم ، فهو تخر وتاج من نور وليس من ورق .

أخبار من الصحف :

جاءنا نبأ ذلك الرجل الذى عذّب زوجه و بنيه وأرغم ثالثة بجبروته على الانتحار غير آسف على الحياة ، مودعة عالما متمدنا لايختلف فى غير المظهر عن عالم الحيوانات المتوحشة

قرأت ذلك النبأ فأزعجني وتألمت له ، فمن المؤلم حقا أن نسمع أن هناك آباء وسمهم المجتمع بميسم الأبوة ظلما وعدوانا ، وهم في الحقيقة لايحملون من معنى الأبوة سوى اسمها .

إنهم ليسوا جديرين بشرف هذا اللقب السامي الذي تهتز له المشاعر إجلالا وتطرب له النفوس تجيلا وإكبارا لأنهم لايعرفون معنى الأبوة ، الأبوة الرحيمة العطوف ، الأبوة التي تعمل ليل نهار في سبيل إسعاد أبنائها وتوفير راحتهم وتحقيق سعادتهم وإخراجهم للحياة أعضاء نافعين عاملين .

عندئذ فقط يستحقون لقب الأبوة الحقة ، الأبوة التي مجدتها الكتب السماوية ووضعتها في مكان القداسة وجعلت طاعتها من طاعة الله . إنها هي الأبوة التي تحنى أمامها أسمى العواطف وأنبلها . أما ذلك الرجل الذي سم أولاده وزوجه العذاب فهو أبعد ما يكون عن الأبوة وسموها ، فهو لا يستحق فقط أن تسلب منه السلطة الأبوية ، بل يجب أيضا أن يسلب منه لقب الأبوة .

يظن الكثيرون أن القسوة والإرهاب هما خير مؤدب للابن ، والحقيقة أن القسوة والإرهاب هما في التربية نوع من أنواع السعار الحيواني يلجأ إليه مثل ذلك الأب الباغي عندما يثور في نفسه ما ترسب فيه من غرائز هدأت بعد أن ارتقى (أستغفر الله) من مرتبة الحيوان الى الإنسان .

نحن بني آدم ولسنا حيوانات أيها الآباء الجهلة القساة ، وإن أبناءكم أمانة في أعناقكم قيادها في أيديكم فاتقوا الله فيهم يحفظوا جميلكم ويرعوا عهدكم .

طالب طب :

عثر أحد الموظفين على عظام بشرية ملقاة في إحدى الخرائب على طريق المارة .

وهذا أيضا خبر نشرته الصحف في حينه ، وقد استقبله الناس بشيء من الفتور شأنهم في ذلك شأن الحديث عن الموت والموتى ، فالانسان مادامت الحياة مبتسمة له تنثر حوله النعمة والسعادة والصحة ، فأن آخر مايفكر فيه المرض أو الموت ، أما إذا أدرت له الحياة ظهر المجن ، ابتدأ يفكر في الحياة الأخرى وما فيها من حقائق لا يكاد يصدقها الخيال نفسه .

ولم يكن حادث العثور على عظام آدمية بالشيء الغريب فاني أذكر أن الصحف ذكرت مرارا حوادث متشابهة من هذا القبيل كان أبطالها من طلبة الطب أيضا .

وقد يكون للطالب الحق في استصحاب العظام لكي يجرى عليها تجاربه ، ولكن أليس من حق تلك العظام أن يرعى الناس حرمتها على الأقل ، فلا يلقوها في طريق المارة تتعرض لطفل يلهو بها أو قدم تطؤها ؟ ! ! .

قد تكون تلك العظام لشخص عزيز على قومه ، أو لبطل أبلى في حياته ، أو لمجاهد أفنى في سبيل رسالته زهرة شبابه .

هل من الإنسانية أن تلقى عظامه هذا المصير المليء بالجحود والكفران ؟ ! ! .

شيء من الانسانية يرحمنا الله .

مدرسة الإجرام :

ومدرسة الاجرام هذه هى تلك السموم التى تنفثها الصحف والمجلات التى تعنى بإثارة شعور الجمهور دون التدبر فيما قد يكون لهذا من نتائج خطيرة تستتبع تلك الإثارة .

فلا يكاد أسبوع يمر دون أن يظهر واحد من تلك الأوبئة الخطرة التى تتجسد فى ميكروب المجلات البوليسية وأمثالها ، حيث تجعل من المجرمين أبطالا تمجدهم وتدق لهم طبول التعظيم والشهرة .

ولا ننسى تلك الحوادث التى كان اللصوص يلبسون فيها الأقمعة و الملابس السوداء ، ويهاجمون الدور الآمنة والأسر المطمئنة فى هدأة الليل ، ثم يظهر أن هؤلاء اللصوص للأسف من المتعلمين الذين يقبلون على قراءة الروايات الوضيعة التى تنشر أمثال مغامرات سنكلار وأرسين لوبين وغير ذلك من المواد الرخيصة التى تقبل عليها بلهفة العقلية الشعبية الساذجة .

وكذلك حادث البنك الأهلى الذى يكاد يكون احدى تلك الروايات الصفراء التى تباع عندنا ، خرجت من بطن الورق لتترجم على مسرح الحياة ، يمثلها لصوص بينهم حامل ليسانس فى الحقوق .

و إنى أرى أنه اذا كانت الرقابة تفرض على الصحف والمجلات مؤقتا فى أوقات الحروب حرصا على سلامة النظام وصونا للأمن وتدعيما للمبادئ السياسية التى تنهجها الأمم ؛ فما أحرانا برقابة اجتماعية دائمة تفرض على الصحف كى تحمى الشعب من خطر ما يتعرض له من مثل تلك الأفكار التى تدسها فى نفسه وتوعز اليه بالعمل بها تلك الوريقات المجرمة التى تتستر تحت اسم القصة ، والقصة فى سموها ونزاهة مقصدها أبعد الأشياء عنها ! ! !

سامى محمد

سأل إعرابى حكيما فقال له :

— أى المصائب أشد على النفس .

قال :

— أن يتحكم الوضيع فى الرفيع .